مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٤/١/٢٥

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

الجنرال .. والغزالة !

لماذا استقال الجنرال آريل شارون ، قائد قوات الثغرة الاسرائيلية غربى قناة السويس ؟ .. ولماذا آثر ترك خدمة الجيش الاسرائيلى برغم تصريحات له قريبة ، أكد فيها تمسكه بالبقاء فى الخدمة العسكرية مهما حدث او يحدث ؟

لماذا ؟

□

اذا قيل ان السبب هو اعلان الاحتجاج على انسحاب القوات الاسرائيلية من الغرب طبقا لما جاء فى اتفاقيات الفصل بين القوات ــ فلعلى اقول ان ذلك التفسير يصبح تبسيطا للأمور باكثر مما هو جائز ، ازاء ظواهر ووقائع تستحق منا دراسة أكثر عمقا ، وليس بالضرورة أكثر تعقيدا .

... واذن ما هو السبب ؟

□

ان الاجابة على اى سؤال فيما يتعلق بأى تصرف سياسى تمر فى الغالب بثلاث مناطق : منطقة ما هو « **خاص** » ــ ومنطقة ما هو « **خاص عام** » ــ ومنطقة ما هو « **عام** » .

ذلك انه لا يمكن مهما فعلنا ان ننزل أى تصرف عن مشاعر ومزاج صاحبه ، وحتى اذا كان التصرف سياسيا فانه في الأصل انسانى .

وهذه منطقة ما هو « **خاص** » .

ثم ان الحدود الفاصلة بين ما هو خاص وما هو عام ليست حادة وقاطعة كأنها خط اسلاك شائكة محاط على الناحيتين بحقول الغام مبثوثة .

وهذه منطقة ما هو « **خاص عام** » في أى تصرف ، أى المنطقة التى تختلط فيها النزعات الشخصية بالاعتبارات الأوسع من شخص صاحبها .

واخيرا فاز وراء كل تصرف سياسى بالتأكيد قضية ...

وهذه منطقة ما هو « **عام** » .

واذا طبقنا هذه المقاييس على استقالة الجنرال آريل شارون وبدانا بمنطقة ما هو خاص في الأسباب التى دعته الى الاستقالة من الجيش الاسرائيلى هذا الأسبوع — لوجدنا ما يلى :

١ ان شارون يشعر انه لم يعد له عمل فى خدمة الجيش الاسرائيلى ، ولقد شعر بذلك من قبل فى شهر يوليو سنة ١٩٧٣ ، حينما طلب احالته الى التقاعد بعد سنوات فى قيادة الجبهة الجنوبية — مع مصر . وكان دافعه الى هذا الطلب فى ذلك الوقت هو معرفته مقدما بأن الحكومة الاسرائيلية قررت تخطيه فى التعيين لمنصب رئيس اركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية بعد انتهاء خدمة الجنرال دافيد اليعازر فى هذا المنصب ، واتجاه الترشيح فى الغالب الى الجنرال اسرائيل تال

ولقد تصور الجنرال شارون — ربما لوهلة — أن دوره فى فتح الثغرة غرب قناة السويس قد يعطيه فرصة جديدة على القمة أو بقربها فى هرم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، ولكن الشواهد كلها أقنعته بأن ذلك احتمال مستبعد تماما

❷ وكان أكثر ما أقنع شارون بذلك هو تعيين الجنرال « افراهام آدان » قائدا للجبهة الجنوبية — مع مصر . والعلاقات بين شارون» وبين « آدان » متوترة وكانت بين الاثنين اتهامات متبادلة أثناء عملية فتح الثغرة فى غرب قناة السويس ، فقد كان اتهام « آدان » « لشارون » بأنه اندفع فى مغامرة خطرة دون أن يتخذ ضمانات تأمينها ، وحتى على فرض نجاحها فان الحرب ليست ألعاب قمار ترتهن بالحظ وحده — وأما اتهام شارون لادان فقد كان «التردد بأكثر مما ينبغى، والبطء بأكثر مما هو لازم ، والعجز عن تدعيم واستغلال نجاح ظهرت بوادره »

وقد دارت هذه الاتهامات كلها على الهواء بأمواج شبكات الاتصال على مستوى القيادات العسكرية العليا فى الحرب ، وكانت مسموعة فى الساعات الاولى من فتح الثغرة حين اندفع « شارون » بمجموعات ميكانيكية خفيفة وطلب الى الجنرال آدان أن يتبعه بلواءين من المدرعات ، وأراد آدان أن يؤمن دخول قواته الى الثغرة واعتبر شارون أن آدان تلكأ

❸ ان « شارون » يجد أن بقاءه فى الجيش يضر به ماديا لانه يجعله بعيدا عن مزرعته فى بئر سبع، وهى مزرعة مساحتها ألفان وخمسمائة فدان ، وقد قال شارون من قبل : ان خدمته فى الجبهات المختلفة أضرت بمزرعته لأن ابتعاده عنها قلل من رقابته على انتاجها ، على أن هناك آخرين يقولون أن خدمة شارون فى الجيش خصوصا فترة عمله فى القيادة الجنوبية لم تلحق ضررا — بل جلبت نفعا — على مزرعة شارون، لأن جرارات الجيش عملت بالقرب منها ومهدت طريقا مؤديا اليها !

. . . .

. . . .

... وباختصار وفى ناحية الاسباب الخاصة فان شارون يشعر أنهم تخطوه على سلم

القيادة العليا ، ثم وضعوا فوقه رجلا لا يحبه وهو آدان ، ثم أن مصالحه المادية قد تتأثر

نصل الى منطقة الأسباب « **الخاصة العامة** » وعندها نجد ما يلى مما يدفع الجنرال شارون الى الاستقالة من خدمة الجيش:

❶ ان مجموعة «ليكود» **التى يرأسها مناحم بيجين ، والتى لعب شارون نفسه دورا كبيرا فى تكتيل عناصرها فى شهرى اغسطس وسبتمبر ١٩٧٣ ــ قد اختارته فى قائمتها الانتخابية ، وجاء ترتيب اسمه الخامس فى هذه القائمة** ومعنى ذلك أن له مقعدا فى الكنيست ــ الجديد ــ ينتظره اذا رغب وهذا مكان مناسب له خصوصا وهو يريد أن يثير مسائل كثيرة مما جرى فى الأيام الاولى لحرب اكتوبر

وبالتأكيد فان تقرير لجنة التحقيق الخاصة التى شكلت برئاسة قاضى المحكمة العليا لتحديد مسئولية القصور فى الاستعداد للحرب يوم ٦ اكتوبر ــ سوف يذهب الى الكنيست أو على الأقل الى لجنة الامن والدفاع فيه وهذه فرصة فى رأى شارون لا تعوض لكى ينتقم من كل الذين اساءوا اليه حين تخطوه أو خالفوه

وقد كان آخر ما قاله شارون وهو يغادر مركز قيادته فى غرب قناة السويس لآخر مرة هو :

ــ سوف أذيقهم طعم الجحيم »

ولم يكن بالطبع يتكلم عن المصريين !

❷ **ان الجنرال شارون قد بدأ يشعر أن هناك نظاما للانضباط الحديدى سوف ينزل على الجيش الاسرائيلى بعد الأضرار البالغة التى أحدثها تسيب الايام الاولى من الحرب على الجبهة المصرية وحين كان الاقتتال بين جنرالات الجيش الاسرائيلى على أشده بينما كان القتال مع الجيش المصرى فى ذروة ضراوته**

ولقد وضع الجنرال ديان ــ وهو الوحيد الذى ظل شارون الى آخر لحظة يحترمه ويحتمى به ــ قواعد جديدة للعلاقات العامة فى الجيش الاسرائيلى وبينها حظر دخول الصحفيين الأجانب الى قيادات الجيش الا لمهام محددة لساعات محدودة ، كما أنه قد أصبح محظورا حظرا باتا أن يتحدث ضباط الجيش

الاسرائيلى الى « الغير » بدون وجود مسئول من المخـايرات الاسرائيلية له وحده أن يقـرر حدود ما يقال وما لا يقال

ومعنى ذلك كما يقول شارون بنفسه « أنهم يريدون وضعى فى قميص من الحديد »

❸ ان شارون نفسه أحس بأن الرأى العـام الاسرائيلى مجـروح من السـلوك العـام والعلنى لجنرالاته وقت المعركة، والجيش الاسرائيـلى له مكانة خاصـة فى المجتمع الاسرائيلى وهـذه المكانة حجمها بحجم مشكلة الأمن فى اسرائيل تماما، ومشكلة الامن فى اسرائيل هى كل حياة اسرائيل ، ومن هنـا نستطيع تصـور مكانة الجيش الاسرائيلى فى مجتمعه

ولقد أحس شـارون ـ كما أحس غيره ـ أن الرأى العام الاسرائيلى يريد ابعـاد الجيش عن الصخب السياسى ، والرأى العام الاسرائيلى مفتون بمغامرة شارون ولكن الاغلبية فيه تفضل ان تسمع شارون يقول ما يريد بملابس مدنية ... ويضايقها أن تسمع منه وهو باللون «الكاكى» كما يقولون !

وهـكذا أحس شـارون أن « جمهوره » يريد أن يسمع منه ولكنه يريده فى زى آخر .

... وباختصار وفى ناحيـة الاسباب الخاصـة العامة فان شارون وجد أن مقعد الكنيست أفضل بالنسبة له ، ثم أنه يعطيه حريته التى يطلبها فى الـكلام ، ويكسوه بزى آخر لا تتمزق أمامه مشاعر الجمهور الذى يريد أن يسمعه ، واذا كان مستقبله فى الجيش قد توقف فان مستقبله فى السـياسة على وشـك أن يبـدأ ...

هكذا تتبقى منطقة الاسباب العامة التى دعت ـ وأكاد أقول أرغمت ـ الجنرال شارون على الاستقالة من خدمة الجيش

وهذه المنطقة هى القضـية ذاتها أو هى الصلب من القضية

وأظن أن هذه المنطقـة هى مسافة الخلاف الكبير فى التفكير العسكرى الاسرائيـلى حـول القيمـة الحقيقيـة للثغرة التى فتحها الجنرال شارون فى غرب قناة السويس :

● هل كانت هذه الثغرة عملا حربيا عظيما غير نتيجة حـرب اكتوبر من نكسـة لاسرائيل الى نصر حـرمت فى اللحظـة

الأخيرة من ثماره ! وهذا هو رأي الجنرال شارون !

أو :

● ان هذه الثغرة كانت مغامرة خطرة نجحت عمليا ونفسيا لساعات أو لاسابيع ولاسباب خارجة عن تخطيط مدبريها ويستحسن تصفيتها بكرامة وهدوء ! وهذا هو رأى عدد آخر من جنرالات اسرائيل وفى مقدمتهم الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان السابق والمشرف على تنسيق العمليات على جبهة سيناء !

ولقد بدا هذا الخلاف من ثانى يوم فى حرب اكتوبر وظل محتدما طول فترة العمليات وبعدها وتجاوز النطاق العسكرى وعلت النبرات السياسية فيه على غيرها من أصوات الكلام !

□

وربما اقتضانا الامر أن نلقى نظرة أبعد على عملية الثغرة بدايتها كفكرة ، ثم التخطيط لها ثم تنفيذها ، ثم نتائجها الظاهرية والحقيقية .

ويمكن تلخيص ذلك كله فيمايلى :

❶ لقد كانت اسرائيل تحاذر دائما من أى حماقة فى غرب قناة السويس ، وبعد معارك الايام الستة ، فقد كان الطريق مفتوحا أمامها وحتى القاهرة ، ولم يخطر ببال أحد — على سبيل الجد — أن يعبر القناة لان المخاطر شديدة وأولها الامتداد البعيد بأكثر مما هو محتمل بالنسبة للجيش الاسرائيلى ، وثانيها الاقتراب من مناطق الكثافة السكانية المصرية .. وأسباب أخرى .

كان الطريق مفتوحا أمامها فى الغرب ومع ذلك توقفت اسرائيل على الضفة الشرقية سنة ١٩٦٧ ولم تعبر ولا بقارب مطاط واحد .

❷ بدأ التفكير فى عملية محدودة فى الغرب سنة ١٩٧٠، فى أعقاب حرب الاستنزاف الشهيرة ، وفى أعقاب نجاح مصر فى بناء حائط الصواريخ العتيد على الضفة الغربية لقناة السويس وكان هذا الحائط أكبر شبكة صواريخ عرفها العالم ، وكان من أثر بناء هذا الحائط أن أصبح الطيران الاسرائيلى — وهو سلاح الردع الاساسى — عاجزا

تماما عن العمل فوق القوات المصرية .

ورأت القيادة الاسرائيلية أنها سوف تكون فى مأزق صعب اذا حدث واستؤنفت حرب الاستنزاف أو اذا حدث وقامت مصر بعملية أكبر لعبور قناة السويس .

وهكذا بدا التفكير فى عملية اسرائيلية محدودة فى الغرب تقوم بها قوة عمل اسرائيلية خاصة تكون مهمتها تحطيم جزء من شبكة الصواريخ لفتح ثغرة فيه تستغلها الطائرات الاسرائيلية لكى تتم بأمان تدمير الحائط كله ، ومن ثم تصبح قوات الجبهة المصرية تحت رحمة الطيران الاسرائيلي .

❸ لقد كان هذا التفكير دائرا — بشهادة الجنرال حاييم بارليف رئيس الاركان فى ذلك الوقت — حينما عين الجنرال شارون قائدا للجبهة الجنوبية — مع مصر .

واهتم شارون بهذه الفكرة ، وشارك فى التخطيط لها . واختار بنفسه مجموعات عناصر العمل التى تكلف بها . وكان هو نفسه الذى صك لها اسمها الرمزى الذى عرفت به من وقتها وحتى الان وهو اسم : « الغزالة » .

ولعل هذا الاسم الرمزى نفسه يشير الى التصور الحقيقى وراء هذه العملية : حركة سريعة وخفيفة .. تعبر القناة بقفزة واحدة .. وترمح هنا وهناك فى لمح البصر ، ثم تفر عائدة من حيث أتت بعد أن تتم دورها ، أو يلحقها الصياد فيصيبها ، بعد أن تكون قد فتحت ثغرة فى السماء وليس ثغرة على الارض . أى أزاحت جزءا من حائط الصواريخ .. دون أن تحتل أرضا عليه أو من حوله !

وبلغ من اهتمام شارون « بالغزالة » أنه استكشف مواقع العبور المحتمل بنفسه واختار منها موقعا عند نقطة الدفرسوار وأمر سلاح المهندسين فى هذا الموقع ببناء منطقة تجمع للدبابات والمصفحات ، وبتخفيف الحاجز الترابى على القناة ليسهل فتح فجوة فيه اذا جاء وقت تنفيذ العملية ، وبوضع علامات من الاحجار الحمراء هناك لتكون دليلا لقوة العمل جاهزا يشير لها نحو منطقة الاختراق اذا حانت الفرصة .

❹ وفى يوم الجمعة ٥ أكتوبر ، وقبل أربع وعشرين ساعة من بدء العمليات وصل الجنرال

شارون الى مقر القيادة الجنوبية المتقدم في أم خشيب .

كان شارون قد استدعى للخدمة ضمن من استدعوا من كبار الضباط في اسرائيل بعد أن أحست القيادة الاسرائيلية بنية هجوم مصرى واسع .. وشيك .

وتوجه « شارون » الى غرفة العمليات حيث كان يجلس قائد الجبهة الحالى — وقتها — ومرؤوسه السابق — من قبل — « الجنرال جونين » وعدد من أركان حربه .

واشترك الجنرال شارون في مناقشة حول التطورات المحتملة عرضت فيها مجموعة من صور الاستطلاع التى التقطتها الطائرات الاسرائيلية ، وأمسك الجنرال شارون ببعض هذه الصور يتأملها ويقول :

— هذه معدات عبور واضحة فى الصورة .. معنى ذلك انهم سوف يهاجمون .. بهذه الاوضاع التى أراها أمامى فان هجومهم سوف يجىء فى ظرف ساعات قليلة ..

وبدأ شارون يعرض مقترحات وتصورات أحس أن جونين لا يشاركه فيها فحاول الاتصال بموشى ديان فى تل أبيب ، ثم تمكن من الاتصال بدافيد أليعازر فى مقر قيادة « تساهال » — جيش الدفاع الاسرائيلى ، وكان رأى الجنرال دافيد أليعازر أن تكون المسئولية للقائد المسئول [جونين] وأن يلتزم شارون بالتسلسل القيادى فى عرض أى مقترحات له .

● وبعد الظهر بقليل من يوم ٦ أكتوبر العظيم فى مصر ، صدر القرار وانطلق الرجال ولم تمض ساعات حتى كان خط بارليف قد سقط أمام الموجات الاولى للهجوم المصرى .

أخذت قوات الخط كلها بالمفاجأة رغم أن اشارة استعداد كانت قد أرسلت لها ، وتبين فيما بعد أن هذه الاشارة لم تصل بسبب ارتباك القيادة وخطوط اتصالاتها .

وكان شارون قد ترك مقر القيادة العامة المتقدم وقضى الليل فى قيادة مدرعات أقامها على عجل للقوات التى وضعت تحت امرته ليقوم بالهجمات المضادة الاولى .

وعند ظهر اليوم التالى كان شارون فى حالة عصبية بالغة

حملها معه وذهب الى المقر المتقدم للقيادة العامة فى الجنوب

كان سبب عصبيته هو معارك الدبابات التي وقعت فى الصباح أمام الفرقة الثانية مشاة المصرية ضمن قوات الجيش الثانى .

لقد فوجىء شارون فى هذه المعارك بجندى المشاة المصرى يحمل الصواريخ المضادة للدبابات من طراز مولوتكا ، كما فوجىء بكتائب المدرعات الملحقة بفرق المشاة المصرية .

وأتذكر أننى زرت ساحة هذه المعارك فيما بعد مع **الجنرال أندريه بوفر** ونظر **الجنرال بوفر** الى آثار المعركة من حوله ، ثم قال بتأكيد خبير يعرف مايقول:

« استطيع ان اشهد بما اراه من حولى الآن ، انكم هنا حاربتم بأكفأ مستوى يعرفه العصر »

وربما كانت ملاحظة **الجنرال بوفر** فيما بعد هى نفس السبب الذى جعل الجنرال شارون — من قبل — يشعر بالعصبية فقد رأى نفسه يفقد فى هذه الساحة وحدها نصف لواء بأكمله من مدرعاته .

❻ احس شارون بمنطوق ما قاله بنفسه أن الخطة المصرية فى هذه المرحلة — وبعد اتمام العبور وظهور خمس فرق من الجيش المصرى فجأة على الضفة الشرقية لقناة السويس — تتلخص فى « ان المصريين يريدون ان يجرونا الى مهاجمتهم بالدبابات وحين نقترب منهم فانهم يصدموننا بصواريخهم المضادة للدبابات وبدباباتهم نفسها » .

وأسرع الجنرال شارون الى مقر قيادة الجنرال جونين ليعرض تقديره ويقول وبالحرف طبقا لما ذكره هو فيما بعد :

— اذا استمر الوضع على هذا الحال فاننا سوف نخسر ... اننا الان نرقص على أنغام مصرية ولابد أن نتوقف عن ذلك فورا » .

وكان الجنرال جونين فى حالة يرثى لها .

كان قد فقد سيطرته على نفسه وعلى الجبهة التى يقودها

وكان ضباطه من حوله قد احسوا بتآكله من الداخل منذ الساعات الاولى للهجوم ، وبدا ذلك واضحا من تصرفاته العادية حتى عندما مد يده الى فم أحد معاونيه فأنتزع منه سيجارة كان يدخنها وألقى بها على الارض وراح يدوسها بقدمه حتى طحنها

تقريبا وهو يقول :

ـ هل تدخن يوم السبت .. هل نسيت أنك يهودى ! » .

كانت هذه هى حالة جونين عندما دخل عليه شارون ، وأدرك شارون على الفور أنه أمام رجل تم انهياره داخليا أو هو بقرب الانهيار التام من داخله .

وكان سؤال جونين لشارون وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

ـ ما هى توصياتك ؟

وقال شارون على الفور :

ـ لابد أن نوقف الاسلوب الذى نقاتل به الان .. لابد ان نأخذ نحن زمام الهجوم فى ظرف ملائم لنا » .

ثم برقت الفكرة فى عينيه وقال على الفور :

ـ انني أفكر في « الغزالة »!

ورفض جونين الفكرة بشدة .

وتطورت المناقشة الى مشادة بين الجنرالين وكانت هذه هى المشادة التى قال فيها شارون لجونين عبارته المشهورة :

ـ جونين .. لو كان لى راى فيما يحدث لما كان لك مكان هنا فى هذه القيادة » .

وتركه وخرج بدون استئذان

وكان أول ما فعله الجنرال جونين بعد ذلك هو أنه طلب من مركز اتصالاته الرئيسى أن يضع شبكة اتصالات قيادة الجنرال شارون تحت الرقابة وأن يتسمع على كل الرسائل الصادرة منها سواء للقيادة العامة أو لقواد الالوية المدرعة مع شارون !

⑦ ووصلت الصورة الى القيادة العامة فى تل أبيب وتقرر ارسال الجنرال حاييم بارليف ـ وزير المواصلات وقتها ورئيس هيئة الاركان السابق ـ الى سيناء لتنسيق القيادة بين الجنرالين المتخاصمين هناك ، ودعا بارليف الى اجتماع لبحث الموقف حضره شارون .

وعرض شارون وجهة نظره :

- **لابد من تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل زمام الهجوم .**
- **الحل فى رايه هو «الغزالة» مع تعزيزها بقوات اكبر وتوسيع نطاق مهمتها .**
- **اذا حدث اختراق الى الغرب بخطة الغزالة فسوف يصاب التفكير المصرى بشلل وارتباك .**
- **ان الهجوم فى الغرب سيقوى الروح المعنوية بين القوات ووراء القوات هناك فى**

اسرائيل بعد كل ما وقع من صدمات .

● ان القتال فى الغرب قد يعطى الجيش الاسرائيلى فرصة للمناورة الواسعة بالدبابات ولحركات الاختراق والتطويق والابادة

● ان اى نجاح يحدث هناك مهما كان محفوفا بالمخاطر يمكن احتماله لان الدول الكبرى لن تسمح باستمرار الحرب طويلا ولابد ان يتوقف اطلاق النار على الجبهه فى أيام ومن الملائم سياسيا أن يكون للجيش الاسرائيلى فى تلك اللحظة قوات فى الغرب »

واستمع بارليف الى بقية وجهات النظر ، ثم كان رأيه :

ـ ان الوقت مازال مبكرا للتفكير فى عملية « الغزالة » وأن هناك محظورات ما زالت عليها .

● ان القتال قد يستمر أياما أخرى قبل صدور قرار بوقف اطلاق النار يحمى قفزة «الغزالة» فى الغرب .

● ان الخسائر العالية فى معارك الدبابات لا تسمح ببعثرة ألوية مدرعة قد تشتد الحاجة اليها اذا حاولت القيادة المصرية تطوير هجومها فى الشرق

● ان هناك فرقة مصرية مدرعة موجودة كاحتياطى استراتيجى فى الغرب وتدخلها يستطيع قتل « الغزالة » على الفور .

وكان قرار بارليف بعد ذلك هو انه لابأس من تخويل شارون بالاستعداد لتنفيذ عملية الغزالة شريطة ان ينتظر اشارة تصله فيما بعد وعندما ترى القيادة العامة ان الظروف أصبحت مهيأة .

وفى يوم ١٤ اكتوبر ونتيجة الحاح مستمر من الجنرال شارون الذى بدأ يحصل فى ذلك الوقت على تأييد الجنرال ديان ـ الذى وجد نفسه مكشوفا الى أقصى حد أمام جميع أعدائه السياسيين ، والذى كان يتحرق شوقا الى أى عملية براقة ـ صدرت الاشارة الى شارون بأن يكون جاهزا للعمل فى ظرف ست ساعات .

ولم يقف بارليف موقف المعارضة لأسباب شرحها :

● ان جهود وقف اطلاق النار على وشك أن تصل الى نتيجة

● ان المعونات الأمريكية أصبحت سيلا متدفقا على اسرائيل

● ان الفرقة المدرعة المصرية التى كانت احتياطيا استراتيجيا

فى الغرب قد عبرت الى سيناء لتطوير هجوم مصرى كان القصد منه التخفيف عن سوريا

وكان تفكير « بارليف » فى عملية الغزالة محددا بأهداف معينة :

- فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرى تمكن الطيران الاسرائيلى من العمل بحرية فوق الجيوش المصرية
- احداث أثر نفسى عميق على التفكير العسكرى المصرى
- الاحتفاظ بمواقع فى الغرب يمكن أن يحميها وقف اطلاق النار ويمكن أن تكون المساومة عليها بعده

٨ بدأت قفزة « الغزالة » فى الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الاثنين ١٥ أكتوبر وكانت العملية مغامرة بكل المصادفات التى يمكن أن تلقاها مغامرة

ولست أريد الآن — ولا هو موضوع هذا الحديث — أن أدخل فى تفاصيل عملية الغزالة وسير وقائعها، ولكن اليوم الذى تنشر فيه اشارات شارون من مقر قيادته المتحرك — وكان من خمس مصفحات تتوسطها عربة قيادته — سوف تظهر صورة غريبة

اشارات تشتم قادة تشكيلات شارون أنفسهم لأنهم تعطلوا عن اللحاق به أمام هجمات مضادة قامت بها وحدات من الجيش الثانى

اشارات تشتم سلاح المهندسين لتأخيره فى مدالكبارى التى تعبر عليها المدرعات لتعزيز الطلائع الأولى التى دخل بها شارون

اشارات تشتم الجنرال أفراهام آدان قائد المدرعات الذى كان عليه أن يلحق شارون بلواءين من الدبابات ولكنه تأخر لأنه أراد أن يتأكد أن مداخل الثغرة مؤمنة وأن الجسور التى كانت تحت قصف مصرى شديد قد أصبحت مفتوحة

وسادت الفوضى شاملة لأيام على هذا القطاع من الجبهة فى الغرب

وكانت الفوضى هى التى ساعدت شارون من حيث لايدرى فى حين أنها كان يجب ان تكون القاضية عليه !

ونزل قرار وقف اطلاق النار على الجبهة ، ولم يلتزم به

شارون ،ولم يكن يستطيع — من وجهة نظر عسكرية بحتة — أن يلتزم به لان قواته فى أوضاع ٢٢ أكتوبر كانت معرضة ومكشوفة الى حد خطير تم أنه لم يكن قد وصل بعد الى مواقع يحقق منها هدفا اضافه الى أهدافه وهو قطع طريق الجيش المصرى الثالث .

هكذا واصل « شارون » تقدمه تحت وقف اطلاق النار ونزل جنوبا فأحاط بالسويس واحتل تقاطع الطرق بينها وبين القاهرة ومد خطوطه الى الادبية وحاول الوصول الى السخنة !

كان وضع قوات الثغرة — على حد تعبير الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى الكبير بعد وقف اطلاق النار — هشا

وربما كانت أخطر نتيجة لهذه الثغرة هى الاثر السياسى والنفسى

ومن وجهة نظر عسكرية فقد أصبح وضع قوات الثغرة فى نطاق مقدرة العمل المصرى فى اللحظة التى أمكن فيها حشد قوات جديدة من فرق المشاة ومن المدرعات والمدفعية تحكم من حولها حصارا كاملا

وبهذه الطريقة أصبح وضع القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية كلها — وليس فى الثغرة فقط — وضعا غريبا :

عززت الثغرة خوفا من الضغط المصرى المحتمل عليها أو اقتحامها فأصبحت قوتها سبعة ألوية

ولحماية الطرق والمداخل اليها فقد وقفت على الغرب خمسة ألوية أخرى مهمتها حماية مواصلات الثغرة

وهذا كله غير عشرة الوية وزعت أمام الجيشين الثانى والثالث

ووراء هذا كله احتياطى استراتيجى متاهب للعمل

اى انه كان لاسرائيل ما بين خمسة وعشرين وثلاثين لواءفى سيناء تحت التعبئة العامة وتحت التوتر الشديد وأمام الخطر فى أى لحظة

وتصبح المقارنة مهمة اذا تذكرنا أن القوات الاسرائيلية المعبأة على كل الجبهات العربية قبل حرب اكتوبر كانت سبعة ألوية فى حالة تعبئة كاملة وخمسة ألوية فى حالة نصف تعبئة

وكان الوفد العسكرى المصرى فى جنيف متنبها الى خطورة وضع القوات الاسرائيلية على الثغرة وفى سيناء وقد قال رئيسه صراحة :

ـ ان احدا لا يمكن أن يخيفنا بهذه الثغرة فنحن نعلم قيمتها العسكرية ، فهى معرضة ، ثم أن حمايتها تحتاج الى تعبئة ضخمة وراءها فى سيناء »

وكان رد الجنرال جور رئيس الوفد الاسرائيلى مائما حين قال:

ـ ان قوادنا يرون أن هناك فوائد كثيرة تعود علينا من بقاء هذه الثغرة وهم يرون أمكان استغلالها وأما عن التعبئة فنحن نستطيع احتمالها سنة وسنين!»

وقال الوفد العسكرى المصرى :

ـ ليكن فلتبق الثغرة ولتعودوا الى خطوط ٢٢ اكتوبر»

وكان رد جوروبسرعة «ان هذا مستحيل عسكريا »

١٥ كانت المناقشة مازالت دائرة فى اسرائيل حول قيمة الثغرة

كان الجنرال شارون وهو مغرم بالتعبيرات الملونة يقول فى اجتماعات القيادة العامة فى تل أبيب :

ـ ان الثغرة مسدس مصوب الى قلب مصر ... ثم هى حبل حول رقبة الجيش الثالث »

وكان رأى غيره :

ـ ان الثغرة قد ادت دورها النفسى والسياسى وهذا يكفى

أما عسكريا فالمسألة تختلف

هل تستطيع أن تتقدم من هذه الثغرة لتهديد القاهرة مثلا ...

ان الجيش الاسرائيلى بأكمله لا يكفى وحده لتهديد القاهرة

وأما عن الجيش الثالث فحصاره مرهون بوقف اطلاق النار واذا حدث تجدد لاطلاق النار فان الجيش الثالث قد يصبح فى مصيدة ولكن قوات الثغرة هى الاخرى سوف تصبح فى مصيدة وهذا مالا تستطيع اسرائيل تحمله »

وكان هؤلاء يضيفون :

ـ أن بقاء قوات الثغرة يعرضها لحرب استنزاف يومية وهو ما تخشاه اسرائيل حتى ولو كان ضحايا حرب الاستنزاف قتيلا واحدا كل يوم

ثم ان بقاء قوات الثغرة معناه بقاء حالة التعبئة العامة وهو

ما لا تستطيع اسرائيل احتماله الى وقت غير محدود »

وانتهت المناقشة

وعرف شـــارون انه خسر نظريته داخل الجيش الاسرائيلى

ان قيادة الجيش الاسرائيلى وافقت ـ ضمن اتفاقية الفصل بين القوات ـ على سحب قوات الثغرة والانســـحاب الى خط المضايق

لقد وجد نفسه وحيـدا فى النهاية ، عن كل الفكر السائد فى القيادة الاسرائيلية ، مهزوما داخل المؤسسة العسكرية التى ينتمى اليها

كان يظن ان بيده مسـدسا موجها الى قلب مصر . وحبـلا حول رقبة الجيش المصرى الثالث

وبقرارهم النهائى فلقد قالوا له جميعا وببساطة :

انه ليس فى يده مسدس ... وليس فى يده حبل »

وتنتهى مغامرة شارون ... وتنتهى معها خدمته العسكرية كلها ! ...

وهذه هى القضية !

محمد حسنين هيكل